

تفسير ابن كثير

يقول تعالى ممتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه يستريحون من حركات ترددهم في المعاش والنهار وجعل النهار مبصرا أي مضيئا ليتصرفوا فيه بالأسفار وقطع الأقطار والتمكن من الصناعات { إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون } أي لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال D : { ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو } أي الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد خالق الأشياء الذي لا إله غيره ولا رب سواه { فأنى تؤفكون } أي فكيف تعبدون من الأصنام التي لا تخلق شيئا بل هي مخلوقة منحوتة .

وقوله D : { كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يحدون } أي كما ضل بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى وجدوا حجج الله وآياته وقوله تعالى : { الله الذي جعل لكم الأرض قرارا } أي جعلها لكم مستقرا بساتا مهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وأرساها بالجلال لئلا تميد بكم { والسماء بناء } أي سقفا للعالم محفوظا { وصوركم فأحسن صوركم } أي فخلقكم في أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم { ورزقكم من الطيبات } أي من المأكول والمشرب في الدنيا فذكر أنه خالق الدار والسكان والأرزاق فهو الخالق الرازق كما قال تعالى في سورة البقرة : { يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون } وقال تعالى ههنا بعد خلق هذه الأشياء : { ذلكم الله ربكم فتيبارك الله رب العالمين } أي فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم ثم قال تعالى : { هو الحي لا إله إلا هو } أي هو الحي أزلا وأبدا لم يزل ولا يزال وهو الأول والآخر والظاهر والباطن { لا إله إلا هو } أي لا نظير له ولا عدل { فادعوه مخلصين له الدين } أي موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو الحمد لله رب العالمين قال ابن جرير : كان جماعة من أهل العلم يأمرؤن من قال لا إله إلا الله أن يتبعها بالحمد لله رب العالمين عملا بهذه الآية ثم روي عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق عن أبيه عن الحسين بن واقد عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى : { فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين } وقال أبو أسامة وغيره عن إسماعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير قال إذا قرأت { فادعوا الله مخلصين له الدين } فقل لا إله إلا الله وقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ { فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين } قال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا هشام يعني ابن عروة بن الزبير

عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن بدر المكي قال كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل بهن دبر كل صلاة ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثتهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة [لا إله إلا الله وحده لا شريك له] وذكر تمامه